"مفهوم التناسخ في الحضارة الهندية" "دراسة تحليلية نقدية"

"The Concept of Transmigration in Indian Civilization"

"An Analytic Critical Study"

بحث منشور لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

إعداد

مصطفى رمضان مصطفى محمود

معيد بقسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة الزقازيق

ملخص البحث:

تعد الحضارة الهندية من أكثر الحضارات التي ظهرت فيها عقيدة التناسخ، فلقد اعتقدت بها ديانات الهند الكبرى: الهندوسية، والجينية، والبوذية، كما ارتبط التناسخ في الحضارة الهندية بمفاهيم عدة منها: السمسارا، والكارما، والنيرفانا أو الموكشا، والخلاص أو التطهر، ووحدة الوجود وغيرها من المفاهيم، فكان انتقال الروح أي: الميلاد المتكرر الذي يحدث للروح عند موت الإنسان، ويكون وفق قانون الكارما؛ فالإنسان يجني ثمار أعماله سواء أكانت صالحة، أم كانت فاسدة، فالجزاء يترتب على عمل صاحبه، فمن يعمل خيرًا لا بد من أن يكون جزاؤه خيرًا، ومن يعمل شرًا لا بد من أن يكون جزاؤه شرًا؛ ومن ثم يصبح هدف الإنسان التخلص من الشرور، والآلام، أي: دورة الميلاد المتكررة، وذلك عن طريق التطهر، واعتزال الأفعال، وممارسة رياضة اليوجا، ... وغيرها من الطرق من أجل التحرر من التناسخ؛ للوصول إلى النجاة، أي: النيرفانا؛ ومن ثم يحدث له الاتحاد بالإله.

كلمات مفتاحية: التناسخ– الكارما– التطهر– وحدة الوجود– الهندوسية– الجينية– البوذية– السمسارا– إعادة الميلاد– النيرفانا– الموكشا– اليوجا.

Abstract:

The Indian Civilization is one of the most Civilizations in which the doctrine of Transmigration appeared, it was believed by the major Religions of India: Hinduism, Jainism, and Buddhism, Transmigration in Indian Civilization has also been associated with Several Concepts, including: Samsara, Karma, Nirvana or Moksha, Salvation or Purification, Pantheism, and other Concepts, So the transfer of the soul was, i.e.: the Rebirth that occurs to the soul at the death of Person, and it is according to the Law of Karma; A Person reaps the Consequences of his actions, whether they are good or bad, Retribution results from the work of its Owner, so whoever does good must be rewarded with good, and whoever does evil must be rewarded with evil; Hence, the goal of Man becomes to get rid of evils and pains, i.e.: Rebirth Cycle, this is done by Purification and Seclusion of actions, Practicing Yoga, and other Methods for Liberation from Transmigration; to reach Salvation (Nirvana); and then United with God.

Keywords: Transmigration, Karma, Purification, Pantheism, Hinduism, Jainism, Buddhism, Samsara, Rebirth, Nirvana, Moksha, Yoga.

مقدمة:

يشغل موضوع التناسخ مكانة بارزة، منذ قدم التفكير الفلسفيّ؛ إذ يرجع جذوره إلى: الحضارة المصرية القديمة؛ بسبب ارتباطها بمصير الإنسان، والثواب والعقاب، ومسألة الفناء والخلود، كما نجده في الحضارة الفارسية: ولاسيما الزرادشتية، كما يعد التناسخ أيضًا سمة الشعوب الهندية؛ إذ تُعُد الهند تربة خصبة له، ويظهر هذا بوضوح عند ديانات الهند الكبرى: الهندوسية، والجينية، والبوذية؛ مما يدل على أن هناك تواصلًا بين الحضارات المختلفة؛ وهذا ما يؤكد نظرية التأثير والتأثر بين الحضارات؛ إذ تأخذ الحضارة اللاحقة– وتستفيد من الحضارة السابقة عليها؛ ومن ثمَّ يكون تيار الفكر أشبه بنهر جارٍ متواصل بين الحضارات، وسوف نركز في هذا البحث على الحضارة الهندية نموذجًا، ذلك لكونها أكثر الحضارات التي عرضت لموضوع التناسخ بشيء من التفصيل وكان لها تأثيرًا كبيرًا في الفكر اليونانيّ لاحقًا.

ويعرف التناسخ بأنه انتقال الروح بعد الموت من بدن إلى بدن آخر، وله أربعة أنماط: النسخ وهو انتقال روح الإنسان إلى بدن إنسان آخر، والمسخ هو انتقال روح الإنسان إلى بدن حيوان، والفسخ هو انتقال روح الإنسان إلى جسم نباتيّ، والرسخ هو انتقال روح الإنسان إلى جسم جماديّ، ومن ثمَّ فقد ارتبط التناسخ بالجانب الروحيّ، وليس الماديّ؛ ذلك لأن المتناسخ من الإنسان هو الروح، وليس الجسد.

ولذلك جاء هذا البحث بهدف إلقاء الضوء على جانب في غاية الأهمية؛ ألا وهو مفهوم التناسخ في الحضارة الهندية؛ وذلك عن طريق بيان آراء كُلًّ من الهندوسية، والجينية، والبوذية، بصدد التناسخ؛ وفي سياق تناولنا الأديان الهندية، سوف نوضح ماهية التناسخ، وعلاقته بالكارما، والتطهر، ثم علاقته بمذهب وحدة الوجود، وتتعدد المناهج المستخدمة في هذا البحث، وهي على النحو الآتي: المنهج التحليليّ؛ والمنهج النقديّ، والمنهج المقارن.

ويتمثل هدفنا – في هذا البحث– في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

س١– ما الفرق بين كُلًّ من: التناسخ، والتقمص، والتجسد؟

س٢– إلى أي مدى ارتبط التناسخ بقانون الكارما في الحضارة الهندية؟

س٣– كيف يمكن تحقيق الخلاص من دورة الميلاد في ديانات الهند الكبرى؟

س٤– ما علاقة التناسخ بمذهب وحدة الوجود في الفكر الهندي؟

س٥– ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين كُلًّ من: الهندوسية، والجينية، والبوذية، بصدد التناسخ؟

وأما **محتويات البحث**، فهي على النحو الآتي:

أولًا– مفهوم التناسخ: لغة واصطلاحًا.

ثانيًا– التناسخ في الحضارة الهندية.

(١) التناسخ والكارما Karma.

(٢) التناسخ والتطهر Purification.

(٣) التناسخ ووحدة الوجود Pantheism.

(٤) التناسخ وتقديس الحيوانات.

ثالثًا– التناسخ في ديانات الهند الكبرى.

(١) التناسخ في الديانة الهندوسية Hinduism.

(٢) التناسخ في الديانة الجينية Jainism.

(٣) التناسخ في الديانة البوذية Buddhism.

– نتائج البحث.

– قائمة بأهم المصادر والمراجع.

أولًا– مفهوم التناسخ: لغة واصطلاحًا.

يشتق التناسخ في اللغة من النسخ، ونسخ الشيء أي: نسخه نسخًا، والنسخ هو إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، وقوله– تعالى– ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ (البقرة –١٠٦)، كما أن النسخ هو نقل الشيء من مكان إلى مكان، فالشيء حينما ينسخ شيئًا أي: يزيله ويكون مكانه، وتناسخ الأشياء أي: تداولها، فيكون بعضها مكان بعض كالدول، والملوك[١]، وحينما تقول العرب: نسخت الشمس الظل، أي: أذهبت الظل وحلت مكانه، أي: محله[٢].

---

(١) ابن منظور "الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم": لسان العرب، مادة نسخ، ج٣، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٦١، انظر أيضًا: الفيروزآباديّ "العلامة اللغويّ مجد الدين محمد بن يعقوب": القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٦١.

(٢) الأزهريّ "أبو منصور محمد بن أحمد": تهذيب اللغة، مادة: نسخ، ج٧، تحقيق: عبد السلام سرحان، مراجعة: محمد عليّ النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت)، ص١٨١.

ويعرف التناسخ بأنه عقيدة ظهرت بين الهنود، وغيرها من الأمم القديمة، وهي تذهب إلى أن روح الميت تنتقل إلى حيوان أعلى؛ لتنعم أو أدنى؛ لتعذب؛ ذلك جزاء سلوك صاحبها[٣]، وهكذا يعني تناسخوا الشيء أي: تداولوا؛ ومن ثم فإنه حينما نقول تناسخت الأزمنة أي: تتابعت، فالتناسخ هو انتقال الروح بعد الموت إلى جسد آخر سواء أكان إنسانيًا أم كان حيوانيًا أم كان نباتيًا أم كان جمادًا[٤].

وكان أول استخدام لمصطلح التناسخ باللغة الإنجليزية Transmigration عام ١٥٥٩م؛ للدلالة على تجدد حياة الفرد، وقد استخدم هذا المصطلح على نطاق واسع بوصفه اسمًا بديلًا لدورة الميلاد Rebirth، والعودة Rebecoming، والتقمص Metempsychosis، وفيما يتعلق بمعناه الضيق فقد استخدم من قبل أولئك الذين يعتقدون أن الأرواح البشرية يمكن أن تولد من جديد أي: (تنتقل) إلى الحيوانات والعكس[٥].

ويؤكد هذا المصطلح استمرارية الروح وليس الجسد، وقد استخدم الفلاسفة المحدثون أمثال: "كورت جودل" Kurt Godel (١٩٠٦– ١٩٧٨م) وهو عالم رياضيات نمساويّ الأصل، هذا المصطلح في اللغة الإنجليزية، وفيما يتعلق باستخدامه في الديانات الرئيسة في العالم، فإنه في الهندوسية Hinduism، يعني التناسخ: وهو عملية تؤدي إلى دورة الموت وإعادة الميلاد Rebirth، ويحكمها قانون الكارما، ويشار إليها باسم السمسارا Samsara[٦]، وأيضًا ينتمي التناسخ إلى مفهوم الموكشا Moksha، أي: التحرر من دورة الميلاد المتكررة، وهذه المفاهيم تُدْرس معًا[٧].

ولقد كان مصطلح إعادة الميلاد أو دورة الميلاد، هو الأكثر دلالة على التناسخ، أو الانتقال، أو التقمص، وتتمثل أحد التعريفات الأساسية للولادة الجديدة في أنها: العملية التي ينتقل فيها الجانب الأساسيّ للإنسان (الروح) عند الموت إلى جسد جديد، تلك الروح التي لم يتداخل

---

(٣) المعجم الوسيط، مادة: التناسخ، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٩١٧.

(٤) مراد وهبه: المعجم الفلسفيّ، دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢١٥.

(5) Norman C. McClelland: Encyclopedia of Reincarnation and Karma, McFarland & Company, Inc., Publishers., Jefferson, North Carolina, and London, 2010, P.270.

(6) Payal Kanwar Chandel: "Religious Interpretations of Reincarnation", in: Indian Journal of Health and Wellbeing, Research and Welfare, 2015, P. 737.

(7) Henk Bodewitz: "The Hindu Doctrine of Transmigration: its Origin and Background", in: Vedic Cosmology and Ethics "Selected Studies", Published By: Brill, Jstor, 2019, P. 4.

وجودها مع الجسد السابق، إلا أن هناك شرطًا رئيسًا لإعادة الميلاد، يتمثل في أن دورة الميلاد، تشير إلى استمرار وجود الروح التي تنتقل من كائن حيّ بعد الموت إلى جسد آخر(٨).

ولذلك يتضمن ما نعنيه بأصل كلمة التناسخ الدخول المتكرر في الغلاف الماديّ أو الجسديّ، وهذا يشير إلى شيء متغير يدخل ويسكن في أشياء أخرى بصورة متتالية، ويوجد مسمى آخر قد يستخدم مرادفًا لمصطلح التناسخ، وهو التقمص Metempsychosis، الذي فيه يتم تجاهل مفهوم السكن، ويكون فيه التركيز على انتقال الروح، وحينما نجمع المفهومين معًا لوصف الفكرة كلها، فإنهما يعنيان انتقال الروح إلى أجساد متتالية، وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد أن الروح تمثل في الأذهان شكلًا من أشكال الوجود الذي يتجاوز الإطار الماديّ الذي ارتبطت به في أثناء حياتها على الأرض(٩)، على الرغم من وجود تشابه كبير بين المصطلحين، أي التناسخ Transmigration، والتقمص Metempsychosis، فما زال الاختلاف بينهما، وهو أن التناسخ يكون فيه انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر سواء أكان إنسانًا أم كان حيوانًا أم كان نباتًا أم كان جمادًا، أما التقمص فيكون بانتقال الروح فيه من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر؛ وبذلك يكون مقتصرًا فقط على الإنسان.

وينقسم التناسخ إلى أربعة أنماط: أولًا – "النسخ"، الذي يكون من إنسان إلى إنسان، ثانيًا– "المسخ" الذيّ يكون من إنسان إلى حيوان، ثالثًا– "الفسخ" الذي يكون من إنسان إلى نبات، رابعًا– "الرسخ" الذي يكون بالانتقال من الإنسان إلى الجماد(١٠)، كما يختلف التجسد Incarnation، عن التناسخ؛ إذ يستخدم التجسد في سياق دينيّ، فالمعنى العام له هو ظهور الإله في الإنسان أو أي صورة أخرى من صور الحياة(١١)، وهكذا فالتجسد يقتصر على الآلهة فقط، في حين أن التناسخ له أنماط مختلفة، كما سبق أن أوضحناها من قبل.

وهكذا بعد أن أوضحنا مصطلح التناسخ في اللغة والاصطلاح؛ إذ إنه ورد في الكثير من المعاجم والقواميس سواء أكانت لغوية أم كانت فلسفية، ولاحظنا مرادفات متباينة لهذا المصطلح، فإن جميعها يتفق في شرط وجود الروح بعد الموت، لكي تنتقل إلى جسد آخر؛ وذلك لكي تؤدي واجباتها التي لم تقم بها في حياتها الأولى، كما أنها تتخلص من كل آثامها حتى

---

(8) Norman C. Mc Clelland: Encyclopedia of Reincarnation and Karma, P.218.

(9) Annie Besant: Reincarnation, Theosophical Publishing Society, The Path, London & New York, 1892, P.11.

(١٠) مراد وهبه: المعجم الفلسفيّ، ص٢١٦.

(11) N. S. S. Raman: "Reincarnation and Personal Immortality the Circle and the End of History in Hinduism, in : Progress, A Pocalypse, and Completion of History and Life after Death of the Human Person in the World Religions, edited by: Peter Koslowski, Kluwer Academic Publishers, Springer, 2002, P. 15.

تنجو وتحقق الكمال، وتلك هي الغاية الأساسية للتناسخ، كما أوضحنا أنماطه المختلفة: النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ، ننتقل الآن إلى الحضارة الهندية، بوصفها التربة الخصبة للتناسخ.

ثانيًا- التناسخ في الحضارة الهندية.

يعد التناسخ هو علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يكن منها، ولم يعد من جملتها؛ إذ تنتقل الأرواح في الأبدان المختلفة، وَفْق ما قامت به من الأفعال، سواء أكانت خيرًا أم أكانت شرًا؛ ولذلك يكون الثواب مرتبطًا بفعل الخير، في حين أن العقاب يكون مرتبطًا بفعل الشر؛ إذ إن هذه الأرواح لا تموت بموت الجسد ولا تتغير، بل تنتقل في الأبدان، على عكس الإنسان ومراحل تطوره من الطفولة إلى الشباب، والكهولة، ثم الشيخوخة التي يعقبها موت الجسد ثم العودة مرة أخرى(١٢).

ونجد في الأوبانيشاد Upanishads ثلاث عقائد مترابطة بشأن المصير الأخرويّ للروح البشرية، وهي على النحو الآتي، الأولى- العقيدة التي تذهب إلى أن الروح حينما تموت على نحو متكرر وتولد من جديد؛ ومن ثم تتناسخ على نحو متكرر في كائن حيّ جديد، ويطلق على هذه العقيدة مسمى سمسارا Samsara، والثانية- العقيدة التي تذهب إلى أن المرء يتحمل نتائج أعماله في هذه الحياة الدنيا أو في الحياة المقبلة، ويطلق عليها اسم الكارما Karma، أما العقيدة الثالثة فهي التي تذهب إلى أن هناك فرارًا من التكرار الممل؛ لتجدد الموت والميلاد، وتعرف بمسمى "الموكشا Moksha أو النيرفانا" Nirvana(١٣).

وهكذا فهناك ارتباط وثيق متسلسل بين تلك العقائد الثلاث: السمسارا، والكارما، والموكشا أو النيرفانا؛ إذ إن كل عقيدة كانت نتيجة للسابقة لها، وهنا نتساءل: كيف ارتبط التناسخ في الحضارة الهندية بتلك العقائد الأساسية لهم؟

(أ) التناسخ والكارما Karma.

من أجل فهم مفهوم الكارما، لا بد من معرفة الشيء من أصوله، ومع ذلك نجد أنه يمكن أن تكون مسألة الأصول هذه مضللة، فمن الضروريّ معرفة الافتراضات الميتافيزيقية للمفهوم؛ ومن ثمّ تكمن أصول قانون الكارما في التاريخ الهنديّ، فقد ظهر لأول مرة في

---

(١٢) أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونيّ: في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٨م، ص ص٣٨-٣٩.

(١٣) جفريّ بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، عدد١٧٣، ١٩٩٣م، ص ١٥٥.

الأوبانيشاد Upanishads في شكل يمكن التعرف إليه بوضوح، على الرغم من تقديمه بوصفه تعليمًا باطنيًا(١٤).

وتعرف الكارما بأنها عمل، أو سلوك، أو فعل، أي: تمثل مصير الإنسان؛ ومن ثم فهي مقررة مسبقًا لكل إنسان، ولكن يستطيع الإنسان بما يمتلكه من إرادة حرة، أن يجعل كارماه أفضل أو أسوأ؛ وذلك عن طريق ما يحققه من أعماله؛ وعليه فقانون الكارما يعني أن كل فعل يقوم به الإنسان، يترتب عليه نتائج معينة؛ ومن ثم يجني ثمار أعماله سواء أكانت صالحة أم كانت فاسدة، ويصنع الإنسان الكارما في ثلاثة عوالم: الفيزيائيّ، والكونيّ، والعقليّ؛ وذلك عن طريق تصرفاته، ورغباته، وأفكاره، ولكن ما الذي يحدث للكارما حينما ينتقل الإنسان من العالم الفيزيائيّ إلى العالم الكونيّ؟ نجد في هذه الحالة يحدث توقف لكارما الأفعال؛ ذلك لأنها مرتبطة بالعالم الفيزيائيّ في حين أن كارما الرغبات تكون باقية؛ ذلك لارتباطها بالعالم الكونيّ، وكلما كان المستوى أعلى كان أقرب إلى المطلق، إذ الأمر مرتبط بدرجة تطوره الروحيّ(١٥).

ولقد درس فلاسفة الدين الغربيون أمثال: جون هيك John Hick (١٩٢٢– ٢٠١٢م)، أفكار الكارما والتناسخ بشكل نقديّ، وقد حددوا تفسيرات مختلفة لهذا المذهب، ويمكن توضيح العناصر الأساسية الثلاثة لنظرية الكارما بطريقتين مختلفتين: ١) السببية (أخلاقية أو غير أخلاقية، فهي تنطوي على حياة واحدة أو عدة)، ٢) الاعتقاد بأن الأفعال الجيدة والسيئة تؤدي إلى نتائج معينة، ٣) الولادة الجديدة(١٦).

ولذلك ارتبط الاعتقاد في التناسخ بقانون الكارما، فاعتمد التناسخ في الفكر الهنديّ على الأخلاق؛ إذ إن حياة الإنسان الأخروية تعتمد على طبيعة أفعاله في الحياة السابقة؛ ولذلك فالسلوك الخير يمنعه من الوقوع في دورة التناسخ، أما السلوك الشرير فيؤدي به إلى ميلاد جديد سَيِّيء وهو التناسخ؛ ومن ثم يرتفع الإنسان ويسقط في ميزان الوجود الحيوانيّ أو الإنسانيّ بمقتضى أعماله "الكارما"(١٧).

كما ارتبط العمل بالجزاء في الفكر الهنديّ، وينقسم الجزاء الذي يعطى للمحسنين الخيرين إلى ثلاثة أنواع: أولًا– سان شيتا Sancita، وهي النعم والخيرات التي يعيش فيها

---

(14) Bruce R. Reichenbach: The Law of Karma "A Philosophical Study", Macmillan Academic and Professional Ltd, 1990, PP.10,11.

(١٥) أ. س. ميغوليفسكي: أسرار الآلهة والديانات، ترجمة: حسان مخائيل إسحق، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الرابعة، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ص١٤٦، ٢٤٥، ص ص ٢٧٥– ٢٧٦.

(16) Arvind Sharma: A Hindu Perspective on the Philosophy of Religion, Palgrave Macmillan, New York, 1990, PP.140-141.

(١٧) محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان– دراسة وصفية مقارنة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٦٩.

الإنسان حاليًا ولها استمراريتها في المستقبل، وثانيًا– برارابدا Prarabda، وهي النعم التي نعيشها في وقت محدود وليس لها استمرار، وثالثًا– كري يامانا Kri yamana، وهو الجزاء الطيب الذي لم نحصل عليه في حياتنا الحاضرة ولكن سوف نحصل عليه في الحياة المستقبلة بعد الموت؛ إذ إن المحسنين الطيِّبين الذين لا يحصلون على أجرهم في الحياة الدنيا، فإنهم سوف ينالون جزاءهم الطيب في الحياة الآخرة(١٨).

وهكذا كانت دورة إعادة الميلاد أو انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر؛ لتسكن فيه لا يكون وفق إرادتها كما سبق أن أوضحنا، بل يكون وفق قانون الكارما، أي: وفق أعماله، فيصبح جزاؤه خيرًا نتيجة عمله الصالح، في حين يصبح جزاؤه شرًا نتيجة عمله الفاسد؛ ومن ثمّ يصبح هدف الإنسان تحقيق السعادة والتخلص من كل الشرور والآلام، وذلك عن طريق الخلاص، ومما سبق يتضح لنا ارتباط التناسخ عند الهنود بفكرة الحتمية (الجبرية)، وهكذا بعد أن أوضحنا علاقة التناسخ بالكارما، ننتقل الآن إلى معرفة الطرق التي اتبعتها الحضارة الهندية للخلاص من دورة التناسخ.

(ب) التناسخ والتطهر Purification.

يعد الطريق العمليّ المؤدي إلى الخلاص في الحضارة الهندية هو طريق التصوف Mysticism والزهد Asceticism، وتمتاز الديانة الهندية عن غيرها من الديانات، بكون التصوف والزهد هو الطريق الأول والرئيس المؤدي إلى الخلاص؛ إذ إن مشكلة الإنسان كانت تتمثل في أن روحه ذات الجوهر الأزليّ حينما تعلقت بالعالم الماديّ الذي حجب هذه الأزلية، فالحل هنا يكمن في ترك هذا العالم؛ حتى تتخلص الروح من سجنها الماديّ، وتعود مرة أخرى إلى جوهرها، وتتحد في الروح الكونية(١٩).

ويُذْكَر في الأوبانيشاد– نص يوضح كيفية الخلاص وتحقيق الاتحاد مع الإله: "... ***الذي لا يسيطر على حواسه، الذي لا يستطيع تهدئة ما بداخله، الذي لا يستطيع التمرن على التأمل، لن يتمكن من معرفة الذات، ... الذات تبقى نقية حينما تتحد مع البراهمان ...***"(٢٠)، وهكذا يتضح لنا أن تحقيق الخلاص للروح يتم وَفْق عدة من الأمور، ومن أهمها: الامتناع عن الملذات والشهوات التي تمثل عقبة في الوصول إلى الإله والاتحاد به.

---

(١٨) رءوف شلبي: آلهة في الأسواق، (دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق)، دار القلم، الطبعة الثانية، الكويت، ١٩٨٣م، ص ص١١٣–١١٤.

(١٩) محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان– دراسة وصفية مقارنة، ص٥٤.

(٢٠) الأوبانيشاد، ترجمة: عبد السلام زيان، (كاتا والموت، الجزء الأول)، دار شمس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ص ٣٣، ٣٨.

ونجد أن مختلف طوائف الهنود؛ لكي يقضوا على نزعات الحس التي ترتبط بالشهوات، قاموا بهجرة بيوتهم، وسكنوا الكهوف، والغابات، ومارسوا أقسى أنواع الرياضات الجسمية؛ من أجل قطع كل صلة تربطهم بالحياة؛ وذلك لتحقيق السعادة الحقة في حياة أخرى لا يوجد فيها آلام أو أحزان، ويصبح الإله والإنسان حقيقة واحدة(٢١).

ولا يمكن الهروب من هذه الدائرة المفرغة للولادات الجديدة إلا بمساعدة النعمة الإلهية، التي يتم الحصول عليها عن طريق البهاكتي bhakti، (الصلاة، والعبادة، وخضوع الذات للإله)، والكارما Karma (أداء الواجبات الدينية والأخلاقية)، ويتم وصف العلاقة بين الإله والإنسان عن طريق الكثير من الرموز المجازية، مثل: السيد والخادم، والملك ورعاياه، ويقارن البهاغافاد جيتا Bhagvadgita الكون بشجرة؛ إذ يتم تمثيل الكائن الأعلى بالجذر الباقي، والأنواع المختلفة من الكائنات الحية بالفروع، والكائنات الفردية بالأوراق التي تنبت وتتحلل وتسقط(٢٢).

ولذلك تعددت طرق الخلاص من دائرة الميلاد والممات بتعدد مدارس الفكر الهنديّ، ومن أهم هذه الطرق ما يأتي: طريق الفعل "الكارما"، وهو الطريق الأول للخلاص والطريق الأخلاقيّ كما وصفته النصوص والعقائد، أما طريق المعرفة فهو معرفة الروح (أتمان) ومعرفة براهمان Brahman روح العالم، أما طريق العبادة فيعرف بأنه الاعتراف بالضعف الإنسانيّ، وعدم الاعتماد على الروح في تحقيق الخلاص عن طريق الفعل أو المعرفة، وإعلان الخضوع للإله والاتكال عليه وحبه، وعبادته، والخلاص في هذه الحالة يتم عن طريق إله مخلص يخلص الإنسان من الميلاد والممات المتكرر، ويضاف إلى هذه الطرق الخلاصية طريق اليوجا على اختلاف أساليبها، فقد يحتل طريق المعرفة مكانة بارزة عند كل من الجينية Jainism والبوذية، في حين يحتل طريق الفعل والعبادة مكانة ثانوية، ونجد في مدرسة ميمامسا أن طريق الفعل له الصدارة أو الأسبقية، في حين أننا نجد مدارس رامانوجا والسيخ وغيرها يحتل فيها طريق العبادة الصدارة وغيرها من المدارس، وهناك مدارس تأخذ بالطرق الثلاثة جميعها(٢٣)

وهكذا يتضح لنا تعدد طرق الخلاص من دورة التناسخ المتعاقبة في الحضارة الهندية، إلا أن الغاية واحدة، وهي تحرير الروح، وتحقيق الاتحاد بالإله، وهذا ما يطلق عليه مسمى وحدة الوجود، وسوف ننتقل- الآن- إلى معرفة علاقة التناسخ بمذهب وحدة الوجود.

---

(٢١) عبد العزيز محمد الزكي: قصة بوذا، مؤسسة المطبوعات الحديثة، الدار المصرية للطباعة، (د.ت)، ص٨.

(22) N. S. S. Raman: "Reincarnation and Personal Immortality the Circle and the End of History in Hinduism, OP.Cit, PP. 16-17.

(٢٣) محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان- دراسة وصفية مقارنة، ص ص٧٠ -٧٢.

(ج) التناسخ ووحدة الوجود Pantheism.

وبعد أن أوضحنا ماهية التناسخ في الحضارة الهندية، وكيف ارتبط الجزاء أو المصير بأعمال صاحبه، ثم تناولنا طرق الخلاص والتطهر من دورة التناسخ وتحقيق السعادة، ومن ثمّ الاتحاد بالإله "براهمان" فإننا– هنا– نتناول كيف ارتبط التناسخ بمذهب وحدة الوجود في الفكر الهنديّ؟

لقد أوضحت كتب الأوبانيشاد المقدسة عند الهنود المفهوم المختص باتحاد الروح الشخصية "الأتمان" Atman مع الروح الإلهية "البراهما"Brahma [٢٤]، والتي تنتشر في الكون وتحتويه، وقد تطور على هذا الأساس مفهوم وحدة كل الأشياء في الكائن المطلق "الإلهيّ"، وضرورة تحقيق هذه الوحدة داخل روح الفرد للتحرر من دورة الميلاد والممات[٢٥].

ونجد في الأوبانيشاد نصًا يوضح فيه الاتحاد بالإله "البراهمان": ***"... لكن الإنسان الذي هدأت رغباته، لا يخضع للولادة من جديد،... لقد عايش البراهمان، ويصير براهمانًا، حينما تصير جميع الرغبات، التي ملأت قلبه، تحل مكانها المعرفة بالإله، يصير الإنسان الذي وصل إلى البراهمان خالدًا..."*** [٢٦]، ويشير هذا النص إلى الطريقة التي عن طريقها تستطيع الروح الاتحاد بالإله، وهي: الامتناع عن الشهوات، والتي تمكنها من عدم الوقوع نهائيًا في دورة التناسخ، وحينئذٍ تصير الروح البشرية والإله شيئًا واحدًا، بمعنى: أن تتحول معرفة الروح البشرية من معرفة جزئية بالأشياء إلى معرفة كلية شاملة؛ ومن ثم تصل الروح المتحدة بالإله "البراهمان" إلى الخلود.

---

[٢٤] براهما Brahma: هو الإله الأول للثالوث الهنديّ، خالق العالم، والأب الكبير وسيد الجميع، والمؤيد، وفي الفترة الأسطورية يعد براهما هو أول شخص في الثالوث، ذلك الثالوث المكون من براهما Brahma، وفيشنو Vishnu، وشيفا Shiva، ونجد وحدة بين هذه الشخصيات؛ فكان براهما في شخصيته الخالقة، وفيشنو في شخصيته الحافظة، وشيفا في شخصيته المدمرة.

(CP: John Garrett: Classical Dictionary of India Illustrative of the Mythology Philosophy Literature antiquities arts Manners Customs of the Hindus, Madras Higginbotham & Co., 1871, P.102).

[٢٥] محمد خليفة حسن: مرجع سابق، ص٦٥.

[٢٦] الأوبانيشاد، (الجزء العاشر، بريهادارانكيا)، ص٢١٧.

ولذلك نجد أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين مذهب وحدة الوجود وتناسخ الأرواح، فالخالق وخلقه شيء واحد، وكل الأشياء كائن واحد[٢٧]، وسوف ننتقل الآن إلى توضيح علاقة التناسخ بتقديس الحيوان.

(د) التناسخ وتقديس الحيوانات.

لقد نشأت عبادة الهنود للحيوانات عن الطوطمية؛ لاعتقادهم بأن الإله يتجلى في بعض الأحياء، ومنها الحيوانات فيحل فيها؛ ذلك لأنهم آمنوا بالتناسخ، وقد كانت البقرة من بين الحيوانات، التي كانت لها مكانة مقدسة؛ إذ حظيت في الهند بأسمى مكانة، وهي من المعبودات الهندية التي لم تضعف قداستها مع مرور السنين، وقد رأى غاندي فيما يتعلق بعبادة البقرة، أنها تمثل الإحساس برباط الأخوة بين الإنسان وبين الحيوان؛ إذ ساد الاعتقاد عند الهنود بأن البقرة أم للإنسان، كما أنها خير رفيق للمواطن الهنديّ، وقد كان ملايين من الهنود يتجهون إليها بالعبادة والإجلال[٢٨].

ولذلك احتلت مسألة تقديس الحيوانات مكانة كبيرة عند الهنود؛ ذلك لاعتقادهم بوجود صلة قرابة بين الحيوان والانسان؛ إذ إن للحيوان روحًا مثل الإنسان، وتنتقل الأرواح باستمرار من الإنسان إلى الحيوان، ثم تعود مرة أخرى إلى الإنسان؛ وكل هذه الأمور تشترك في نقطة واحدة وهي "الكارما" وتناسخ الأرواح؛ فنجد على سبيل المثال: أن الفيل قد أصبح الإله "جانيشا" Gansha، وَعَدَّوه ابن شيفا، وتتناسخ فيه طبيعة الإنسان الحيوانية، وكانت تستخدم صورته بوصفها طلسمًا يحمي صاحبه من الحظ السيء، وفي البداءة كانت القرابين في الهند كغيرها من بلاد العالم أضحية بشرية (التضحية بالذات الإنسانية)؛ ثم أصبحوا بعد ذلك يكتفون بالحيوان بوصفه قربانًا يقدمونه للآلهة، ثم جاءت البوذية والجينية التي حرمت التضحية بالحيوان[٢٩]، ويتضح مما سبق ذكره أن الحيوان قد احتل مكانة كبيرة في الحضارة الهندية؛ مما أدى بهم إلى تقديسه، وعدم التضحية به؛ ذلك بسبب الاعتقاد بوجود صلة قرابة بين الإنسان والحيوان، وهكذا بعد أن أوضحنا علاقة التناسخ بكُلٍّ من: الكارما، والتطهر، ومذهب وحدة الوجود، وتقديس الحيوانات، ننتقل الآن إلى التناسخ في أديان الهند الكبرى وهي: الهندوسية، والجينية، والبوذية.

---

[٢٧] ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة، الهند وجيرانها، الجزء الثالث من المجلد الأول، (٣)، ترجمة: زكيّ نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص٣٤.

[٢٨] أحمد شلبيّ: أديان الهند الكبرى، الهندوسية، الجينية، البوذية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ص ٢٨، ٣١.

[٢٩] ديورانت، ول وايريل: قصة الحضارة، الهند وجيرانها، الجزء الثالث من المجلد الأول، (٣)، ص ص٢٠٧، ٢٢٥.

ثالثًا – التناسخ في ديانات الهند الكبرى.

١ – التناسخ في الديانة الهندوسية Hinduism.

ظهر التناسخ في الديانة الهندوسية عن طريق مراحل كثيرة؛ وهي: مرحلة العصر الفيديّ، ومرحلة العصر البراهمانيّ، ومرحلة العصر الهندوسيّ، وسوف نتناول في تلك المراحل التفسيرات المختلفة للتناسخ.

فقد برز في إطار الفكر الفيديّ ما يعرف باسم قانون الكارما الذي فيه يصور الكون كله بوصفه كُلًّا متماسكًا، والوجود البشريّ بوصفه جزءًا لا يتجزأ منه، كما أنه في عالم الظواهر تنفصل الروح الفردية عن الروح الكونية، وتمر عبر سلسلة من التناسخات في الكائنات المختلفة، وتتبع هذه الدورة قوانين السببية والعقاب، ويحدث كل تناسخ وَفْق الحياة السابقة، والهدف من ذلك هو العيش بطريقة تجعل كل فرد يتحرر من دورة الحياة والحصول على السعادة بأن تتحد الروح الفردية مرة أخرى مع الروح الكونية وذلك يسمى المطلق[٣٠]، وهكذا يتضح لنا أن الاتحاد بالإله لا يتم إلا عن طريق التحرر من دورة التناسخ المتعاقبة، وفي هذه الحالة يكون هناك فرصة للنفس الشريرة، إذا استطاعت التحرر من تلك الدورة فإنها حينئذ تستطيع الاتحاد بالإله.

وحين توجيه الانتباه إلى المفهوم الفيديّ لمذهب التناسخ، فنجده يتضمن اعتبار أنفسنا كيانًا واحدًا، وعلى الرغم من تكون الفرد في الواقع من كيانات متميزة قد اتحدت في كيان واحد، تمامًا كما يظهر الماء بوصفه جوهرًا واحدًا ولكن حينما يتم تحليله كميائيًا، فإننا نجده يتكون من عنصرين وهما: الهيدروجين والأكسجين، وفي هذه الحالة وبالمثل فعلى الرغم من ظهور الفرد بوصفه كائنًا واحدًا للعين، فحين تحليله ميتافيزيقيا يتبين لنا أنه يتكون من عنصرين قد اتحدت في كل واحد[٣١].

وننتقل الآن إلى مرحلة أخرى من مراحل الهندوسية إلا وهي البراهمانية.

ومن السائد الاعتقاد في التناسخ، والموكشا Moksha التي تعني التحرر من دورة الميلاد المتكررة والموت؛ إذ إن أفعال الشخص في حياته السابقة هي التي تحدد مكانته في هذه الحياة (الكارما– قانون السبب والنتيجة)، وسيحدد سلوكه في هذه الحياة مقره في المرحلة التالية؛ ومن ثمّ يجب على كل شخص أن يحاول أن يعيش حياة تجعله يرتفع فوق دورة الميلاد المتكررة،

(30) Joroslav Krejci: The Civilizations of Asia and the Middle East "Before the European Challenge", Assisted by: Anna Krejcova, The Macmillan Press LTD, London, 1990, PP.167,168.

(31) Arvind Sharma: A Hindu Perspective on the Philosophy of Religion, OP.Cit, P.144.

وذلك حينما تتحرر الروح وتصبح واحدة مع الإله، وهو تحقيق "الموكشا"، ومن دون ذلك سيولد من جديد مرارًا وتكرارًا[٣٢].

ولذلك يجب على الإنسان أن يسلك سلوك الفضيلة على الدوام؛ ليفوز بالنعيم وينجو من العقاب الذي يلحق بالمجرمين الذين يلبثون في جهنم أحقابًا، ويكون عقابهم أن يمروا بعدة من المراحل تكفيرًا عن خطيئاتهم، فيتناسخ قاتل البراهميّ جسم كلب وخنزير وحمار وجمل وثور وتيس وكبش ووحش وعصفور، والبراهميّ الذي يسرق ذهبًا يتناسخ ألف مرة أجسام العناكب والأفاعي والحرابي وحيوانات الغدران والعفاريت الأشرار[٣٣].

وهنا نتساءل: كيف فسرت البراهمانية طرق خلاص الروح من دورة التناسخ؟.

تعد البراهما جزءًا من الفيدا، ويقول أمبيدكار Ambedkar (١٨٩١- ١٩٥٦م) "المصلح الاجتماعيّ، والسياسيّ الهنديّ": في الفلسفة البراهمانية نجد أن أداء الطقوس الفيدية والاحتفالات الدينية تؤدي إلى إنقاذ النفوس من التناسخ ويساعد على تحقيق الخلاص، فضلًا عن ذلك يشير إلى أن مجتمع البراهما هو مجتمع مثاليّ وهو (تشاتورفارنا) Chaturvarna، وينقسم إلى أربع فئات وهي: البراهما Brahmins، وكشاتريا Kshatriyas، والفيزيا Vaisya، والشودرا Shudras، وعلى الرغم من أن هذه الفئات ليست متماثلة فإنه يحكمها مبدأ واحد[٣٤].

وتعرض البراهمانية Brahmanism مشكلة خلاص الروح البشرية من العالم الأرضيّ، عن طريق التحكم أو السيطرة على الروح أو عن طريق اكتساب قوى فوق الطبيعة للسيطرة على الأشياء والأفراد، وتعرف هذه الطريقة باسم "اليوجا" التي ترمز إلى تركيز الحيوية في الروح؛ لاجتناب الضعف والشقاء، وتحقيق أوسع مدى من الحرية الذاتية، إلا أن هذه الطريقة نجدها تختلف عن الطريقة الجينية التي ترتكز في تعذيب الجسد وإذلال الروح[٣٥]، ويتضح لنا من ذلك الدور الذي تقوم به اليوجا بوصفها وسيلة للخلاص وتطهير الذات البشرية من الرغبات والملذات، وسوف ننتقل الآن إلى الهندوسية في مرحلتها المتأخرة.

---

(32) Jennifer green & Michael Green: Dealing with Death "Practices and Procedures", Springer, Published by Chapman &Hall, Graphicraft, Hong Kong, 1992, P.213.

(٣٣) غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداويّ للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٦٧.

(34) A. Raghuramaraju: "Buddhism in Indian Philosophy", in: India International Centre Quarterly, Vol. 40, No. 3/4, Published By: India International Centre, Jstor, Winter 2013- Spring 2014, P. 73.

(٣٥) محمد عليّ أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفيّ في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص٨٧.

لقد تأثرت الهندوسية كثيرًا بعقائد البراهمانية، مثل وحدة الوجود، وتناسخ الأرواح، والكارما، وغيرها من العقائد، التي اتسمت بالبساطة والشعبية، وقلت فيها سمة التشاؤم؛ إذ سيطر عليها طابع الخرافة(٣٦)، ولذلك ساد الاعتقاد بتناسخ الأرواح في الحضارة الهندية؛ ومن ثم فقد اعتنقه كل هندوسيّ على أنه بدهية، ولا بد من التسليم بصحته، فهو لا يحتاج إلى أي برهان عليه؛ ونجد تعاقب الأجيال سريعًا متلاحقًا؛ بسبب قصر الأعمار وكثرة النسل؛ مما يوحي إلى الإنسان إيحاء لا يستطيع الهروب منه، وهو أن الروح تنتقل من جسد إلى جسد آخر(٣٧).

وإن تناسخ الإنسان أو إعادة ولادته، أو بالأحرى افتراض أشكال مختلفة من الروح في فترات مختلفة من التاريخ، وهو– إلى حد ما– يختلف عن تجسد الإله بوصفه صورة حية، يقبل معظم الهندوس (باستثناء الماديين كارفاكا Carvaka) بأنهم عاشوا حياة سابقة، ولابد من أن يولدوا من جديد سواء أفي نفس العائلة أم في عائلة أخرى مختلفة، أي في نفس الجزء من العالم، أم في جزء آخر مختلف؛ إذ إن العالم مرحلة تحدث فيه الدورة المستمرة للولادات والوفيات(٣٨).

ونجد في قوانين مانو Manu عرضًا تفصيليًا لمذهب الهندوس في تناسخ الأرواح؛ إذ إنه كان أساس جميع مذاهب الهند الدينية، والحياة التي تلي الحياة الأولى تكون طيبة أو خبيثة بمقتضى حسن الحياة الأولى أو خبثها، فالروح إما أن تتناسخ في صورة شخص برهميًا أو قديسًا أو إلهًا، وإما أن تتناسخ في صورة بقرة أو خنزير أو حية؛ ومن ثم يتوقف مصير الإنسان على جميع أفعاله التي قام بها في الحياة الدنيا، فيدخل في وزنها الهائل كبير هذه الأعمال وصغيرها(٣٩).

ويمتاز المفهوم الهندوسيّ العام عن المفهوم الفيدانتيّ الأكثر تعقيدًا؛ لأن ذلك المفهوم الأخير قائم على الكتاب المقدس، ومن الناحية التاريخية وَفْق قانون الكارما تستمر الأرواح المختلفة في الميلاد من جديد(٤٠).

ويذكر في البهاغافاد جيتا: "***عند الوصول إلي، فإن الأرواح العظيمة ليس عليها أن تولد ثانية، ... حيث تذهب إلى السعادة العلوية***"(٤١)، وهذا النص يؤكد فكرة الثواب والعقاب،

---

(٣٦) محمد عثمان الخشت: تطور الأديان قصة البحث عن الإله، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٠م، ص١٧٩.

(٣٧) ديورانت، ول وايريل: قصة الحضارة، الهند وجيرانها، الجزء الثالث من المجلد الأول، (٣)، ص٨٤.

(38) N. S. S. Raman: "Reincarnation and Personal Immortality the Circle and the End of History in Hinduism, P.16.

(٣٩) غوستاف لوبون: حضارات الهند، مرجع سابق، ص ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(40) Arvind Sharma: Primal Perspective on the Philosophy of Religion, Springer, Dordrecht, The Nether Lands, 2006, PP.193,197.

فالروح الخيِّرة تنال النعيم والسعادة الأبدية، وذلك وَفْق ما قامت به من أفعال خيرة في حياتها السابقة، وامتنعت عن شهوات الجسد وَمَلَذَّاته؛ ومن ثم فلا تقع أبدًا في دورة التناسخ المتعاقبة.

كما يذكر أيضًا: "***... كما يتخلص المرء من ملابسه ويلبس ملابس جديدة، وكذلك الروح المتحدة تتخلص من الأجساد وتدخل أجسادًا جديدة، هذه الروح... خالدة ولا تقتل...***"(٤٢)، ويشير هذا النص إلى أن الروح الشريرة التي يكون عقابها التناسخ، أي: تنتقل من جسد لتعيش في جسد آخر، يكون آمالها في الخلود، ولكن لا تستطيع تحقيق ذلك إلا عن طريق تحررها أو خلاصها من دورة التناسخ المتعاقبة.

ويتمثل الهدف من تقديم الهندوس للقرابين هو رغبتهم في الحصول على النعمة الإلهية التي تخفف عنهم الألم، بل تتجاوز وتتخطى العقاب (تناسخ الأرواح)؛ ولذلك فإننا نجد الشخص الآريّ الفيديّ ينظر إلى قرابينه على أنها تحقق رغبته في المشاركة الكونية بين ذاته وبين الآلهة(٤٣).

وقد ورد في كتاب الهندوس المقدس: "***... أن الإنسان ليجازى على أعماله الصالحة والفاسدة،... ويغدو المرء جزاء أعماله السيئة التي ارتكبها بجسمه، في خلقته الثانية جمادًا، والتي ارتكبها بلسانه طيرًا أو حيوانًا وينحط إلى الفرق السافلة نتيجة ارتكابه سيئة بعقله...***"(٤٤)، ويشير هذا النص إلى المصير الأخرويّ للروح بعد الموت، إذ إن الجزاء يكون وَفْق أعمال صاحبه سواء أكانت خيرة أم كانت شريرة، في حياته السابقة، فالأعمال السيئة تؤدي به إلى الوقوع في دورة التناسخ بجميع أنماطه.

ويذكر في البهاغافاد جيتا إلى الحياة السعيدة التي تحظى بها الذات حينما تتحد بالإله: "***... لقد حاز السلام ...، ذلك الذي هجر جميع الرغبات يمشي من دون متعلقات، حر من الأنانية والحسد، إنه يحوز السلام، هذه هي حالة براهما (حالة التحرر النهائيّ) ...***" (٤٥)، ويشير هذا النص إلى حالة من الهدوء والسكينة التي تحظى بها الروح البشرية، حين اتحادها

---

(٤١) الباجافادجيتا، الكتاب الهنديّ المقدس، تحقيق: شاكوانتالا راوا شاستري، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سورية، ١٩٩٣م، الفصل الثامن رقم (١٥)، ص ٧٩.

(٤٢) المرجع السابق، الفصل الثاني رقم (٢٢)، (٣٠)، ص ص٣٢-٣٣.

(٤٣) جفريّ بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مرجع سابق، ص١٦٠.

(٤٤) منوسمرتي: كتاب الهندوس المقدس، ترجمة وتعلق: إحسان حقيّ، دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، (د.ت)، ص٦٨٠.

(٤٥) الباجافادجيتا، الكتاب الهنديّ المقدس، الفصل الثاني رقم (٧٠)، (٧١)، (٧٢)، ص٣٨.

بالإله، كما أنها تعيش حياة أبدية، تتمتع فيها بالنعيم والسعادة، وهكذا بعد أن أوضحنا التناسخ في الديانة الهندوسية، ننتقل الآن إلى التناسخ في الديانة الجينية.

٢- التناسخ في الديانة الجينية Jainism.

تنسب الجينية إلى مؤسسها "مهافيرا" Mahavira (٥٩٩ق.م- ٥٢٧ق.م)، الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، وهو الزعيم الدينيّ للهند، ويوصف في تعاليمها أنه استطاع أن يحرر روحه الخالدة من دورة التناسخ والكارما(٤٦).

وكان مهافيرا مصلحًا تجريبيًا وواقعيًا، فلقد هاجم بشدة الدين البراهمانيّ، والتضحيات عن طريق تعاليمه الأخلاقية، ولاحظ أن سيادة البراهمانيين تشوه المجتمع باسم الإله؛ ومن ثم فقد شكك أولًا في وجوده، فلم يؤمن بوجود الإله، كما دحض فكرة أن الإله خلق الكون كله وسيطر عليه، وعلى هذا النحو، فإن تحرر الإنسان من المعاناة لا يعتمد على مثل هذا الكائن، بل عن طريق عيش حياة التقشف والنقاء والفضيلة، ويمكن للإنسان أن يتحرر من آلام الحياة، وكان الإله بالنسبة له أسمى وأكمل مظهرًا لجميع القوى الكامنة في نفس الإنسان(٤٧).

وتعد الجينية طريقة للتفكير والعيش، وتكمن عظمة فلسفة جينا Jina (مهافيرا)، في أن تعاليمها تتضمن أكبر قدر من السعادة، وقد كانت فلسفته قائمة على كشف الوعيّ الروحيّ للفرد؛ ومن ثمّ عملت الجينية على تطوير الإنسان من جميع الجوانب المادية والعقلية والروحية عن طريق المعرفة والجهد، فكلمة الجينية مشتقة من المصطلح العام "جينا" أي: الشخص الذي ينتصر أو يتغلب على طبيعته الدنيا التي تتضمن الانفعال والكراهية وما يشبه ذلك، ليحقق مستوى أعلى(٤٨).

وهنا نتساءل: كيف فسرت الجينية التناسخ وُفْق معتقدها؟

تجسد نظرية النفس (atma) جميع المبادئ المهمة لتعاليم جينا، ويعتقد الجينيون أن العالم موجود منذ البداءة وسيستمر إلي الأبد، وهي مكونة من ستة عناصر: جيفا(٤٩) Jiva أو

(46) Robert Audi: The Cambridge Dictionary of Philosophy, Second Edition, Cambridge University Press, New York, 1999, P.529.

(47) Samarendra Narayan Arya: "soul in Jain Philosophy and Development of Indian Society in the Sixth Century BC", in: Proceedings of the Indian History Congress, Vol.76, Published by: Indian History Congress, 2015, P.81.

(48) Munishri Chitrabhanu: " Jainism – A Way of Thinking and Living", in: The World Religions Speak on "The Relevance of Religion in the Modern World", edited by: Finley P. Dunne, JR., Springer, Published by: World Academy of Art and Science, 1970, P.98.

(٤٩) جيفا Jiva: تعني الحياة، وهي مبدأ الحياة؛ إذ تعد الحياة مبدأ، أي: تؤكد الوحدة بين الحياة والروح.

اتما atma (النفس)، وبودجال Pudgal (المادة)، ودارما dharma، وأدارما adharma، وأكاشا akasha، وكالا Kala (الزمان)، وهي عناصر أبدية وباقية، وقد وصفت النفس، في نصوص جينا بأنها عديمة اللون، والرائحة، ولا طعم لها، ولا شكل لها، وهي أبدية حية، وجوهر دائم أو راسخ في الكون، وتعد (اتما) atma مثل جيفا أو جيفا ستيكاى Jivastikay، وبانا Pana، وساتا Satta، إلخ، فقد انتشرت النفس في كائنات حية؛ ومن ثم فهي ليست موضوعًا للتحليل الفيزيائيّ(٥٠).

ونجد أن الوجود الإنسانيّ عند الجينية يتكون من عنصرين: الروح (جيفا)، والمادة (آجيفا)، أي: الشعور واللاشعور(٥١)، وتعد الروح لديها ذات طبيعة خالدة متميزة عن الجسد، فهي تمثل الجزء الواعي في الإنسان، وتلقى مصيرها إما بالثواب والعقاب وإما بالخلود؛ ويكون الخلود في حالة السعادة اللامتناهية التي تحصل عليها الروح التي استطاعت التخلص بعيدة عن عالم التناسخ؛ حتى تحيا مع الأرواح المتحررة(٥٢)؛ ذلك لأن الروح لا تموت، ولكنها تتناسخ في جسد آخر، وذلك يمكن مقارنته بتخلص المرء من ملابسه حينما تتسخ أو تتهالك، وقد أوضح جينا (مهافيرا) بأن الروح لم تولد قط ولا تموت أبدًا، ولا يكون وجودها بمجرد مجيئها إلى الوجود؛ ومن ثم فإنها لم تولد بعد، بل هي خالدة، فعلى الرغم من إمكانية قتل الجسد، فإن الروح لا يمكن أن تقتل؛ ولذلك فلا تنسب الطفولة والشباب والشيخوخة إلى الروح بل إلى الجسد، وباختصار، فإن الاعتقاد الشائع بأن الروح تنتقل من جسد إلى جسد آخر، كان سائدًا من قبل معظم الهندوس(٥٣).

فلم يكن عند الجينيين مذهب ماديّ خالص؛ وذلك بسبب تفريقهم بين العقل والمادة في جميع الكائنات، ففي كل شيء، حتى الأحجار والمعادن، أرواح كامنة، وكل روح تحيا حياتها

(CP: Christmas Humphreys: A Popular Dictionary of Buddhism, Curzon, Taylor & Francis, London, 2005, P.102).

(50) Samarendra Narayan Arya: "soul in Jain Philosophy and Development of Indian Society in the Sixth Century BC", P. 81.

(٥١) أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، ج١، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص١١٣.

(٥٢) مصطفى النشار: مدخل جديد إلى فلسفة الدين، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٢٦٩.

(53) N. S. S. Raman: "Reincarnation and Personal Immortality the Circle and the End of History in Hinduism, OP.Cit, P.17.

بغير شائبة تلام عليها، وتصبح روحًا سامية (باراماتمان)[٥٤]، وفي هذه الحالة تنجو من التناسخ في جسد آخر، في حين أنها إذا لم تستطع أن تتخلص من آثامها وشهواتها تتناسخ في جسد آخر، ولا يتحقق الخلاص الكامل إلا لأعلى الأرواح وأكملها؛ ومن هؤلاء تتكون طائفة "الأرهات" أي: طائفة السادة المعظمين، الذين يعيشون في مملكة بعيدة، إلا أنهم عاجزون عن التأثير في شئون الناس، وكانت الطرق المؤدية إلى الخلاص عند الجينيين، تتمثل فيما يأتي: ممارسة الزهد والتقشف، والامتناع عن إيذاء أي كائن حيّ (والتي يطلق عليها اسم أهمسا)؛ فضلًا عن وجود خمسة مبادئ يجب أن يسير عليها كل جينيّ، وهي: ألا يقتل كائنًا حيًا، وألا يكذب، وألا يأخذ ما لم يستحقه، وأن يبتعد عن كل الرغبات والملذات والآثام؛ إذ إن اللذة الحسية تعد في رأيهم خطيئة؛ ومن الأمثلة التي توضح ذلك: نجد أن الجينيّ يرفض تناول العسل؛ لأنه يمثل حياة النحل، ويصفي الماء قبل شرابه؛ خوفًا من أن يقتل ما يمكن أن يكون كامنًا فيه من كائنات؛ ويغطي فمه حتى لا يستنشق مع الهواء أحياء عالقة فيقتلها، كما أنه لا يجوز للجينيّ مطلقًا أن يذبح حيوانًا أو يضحي به[٥٥].

ولذلك فإن التركيز الأساسيّ للجينية هو ممارسة الزهد والتقشف التي تهدف من ورائه إلى كبح ردود الأفعال أو ضبطها، وما بها من الجاذبية والنفور التي نشعر بها عامة تجاه التجارب الممتعة وغير السارة، وكذلك تطهير الروح؛ حتى تصبح في حالة من الاتزان الهادئ؛ مما يتطلب ممارسة الزهد وما يعقبه من الامتناع عن الطعام، والمشقة الناتجة عن التأمل لفترات طويلة[٥٦]؛ ولذلك فقد دفعت الجينية بالتقشف والزهد إلى أقصى درجة؛ إذ إنها انتهت إلى الإعلاء من قيمة الانتحار، وترى أن ما يعلو من قدر الإنسان، هو أن يترك نفسه تموت من الجوع[٥٧].

---

[٥٤] باراماتمان Paramatman: هي الذات العليا: براهمان، الإله، وفقًا للسامخيا أو السانخيا Sankhyaتسمى الروح (البوروشا) باسم باراماتمان.

(CP: John Grimes: A Concise Dictionary of Indian Philosophy "Sanskrit Terms Defined in English" State University of New York Press, Albany, 1996, P. 246).

[٥٥] ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة، الهند وجيرانها، الجزء الثالث من المجلد الأول، (٣)، ص٦٠، ص ص٦٠-٦١.

[56] Jeffery Long: "Jainism: Key Themes", in: Religion Compass, Published by: Blackwell Publishing Ltd, 2011, P. 502.

[٥٧] فيلسيان شاليّ: موجز تاريخ الأديان، ترجمه عن الفرنسية: حافظ الجماليّ، مكتبة المهتدين الإسلامية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص٨٨.

وهكذا يتبين لنا أن الجينية تقر بفكرة الانتحار، وهذا بالطبع يتنافى مع تعاليمها الدينية والأخلاقية، إذا يتعارض مع قولها بالخلود، والمصير الأخرويّ للنفس، وهي بذلك تختلف عما سبقها من الديانات بما فيها الهندوسية.

وتشرح الجينية طبيعة السعادة والألم، والتباين في القدرات الجسدية، والعقلية، والروحية عن طريق نظرية الكارما، فتوضح مشكلة عدم المساواة في العالم، وتشير الكارما إلى ذلك الجوهر الذي يستغرق باستمرار نتيجة نشاطنا الجسديّ والعقليّ، ومع ذلك لا تنظر فلسفة جينا (مهافيرا) إلى الروح على أنها مدانة للعمل بناءً على عواقب أفعالها السابقة وعلى أنها تتجاوز كل المسؤولية عن موقفها وفعلها الأخلاقيّ، بل على العكس تنص– بوضوح– على أن الفرد لديه قدر معين من حرية الإرادة؛ إذ إن الروح تستخدم الحرية؛ لممارسة قرارها أو أمرها(٥٨).

وهكذا بعد أن أوضحنا الديانة الجينية، وكيف ارتبطت تعاليمها الدينية والأخلاقية بمحاولة الانتصار على الجسد من أجل تحقيق السعادة الأبدية؛ والتحرر من دورة التناسخ كما أنها اتبعت نظامًا من الزهد والتقشف، فإننا– هنا– ننتقل إلى ديانة أخرى في ديانات الهند الكبرى، هي الديانة البوذية، متسائلين هل هناك صلة بينها وبين الجينية؟

٣– التناسخ في الديانة البوذية Buddhism.

يحاول راداكريشنان Radhakrishnan استيعاب البوذية وفهمها، وقد تولى هذه المهمة في المجلد الأول في إبداع من أعظم إبداعاته وهو "الفلسفة الهندية" وقد قضى وقتًا طويلًا؛ لأداء هذه المهمة، وقدم مجموعة متنوعة من المصادر وقدم أيضًا الكثير من الحجج الفلسفية، ونجده يعترف بأصالة وتميز بوذا والبوذية، وذلك بالإشارة إلى البوذية القديمة (في مرحلتها الأولى) قائلًا: "ليس هناك شك في أن نظام البوذية المبكر هو من أكثر الأنظمة الأصلية التي قدمها تاريخ الفلسفة في أفكارها الأساسية"(٥٩).

ولذلك كان الاعتقاد السائد لدى البوذية بالولادة الجديدة أو المتكررة، إذ يعتقد البوذيون أن سلوكهم في هذه الحياة سيؤثر في الحياة اللاحقة؛ ومن ثمَّ فإنهم يتحملون المسئولية عن أفعالهم؛ ولذلك تأتي أهمية أن يسلك الفرد السلوك القويم؛ إذ إن البوذية تعبر عن الفكر والممارسة

(58) Munishri Chitrabhanu: "Jainism – A Way of Thinking and Living", in: The World Religions Speak on "The Relevance of Religion in the Modern World", P.102.

(59) A. Raghuramaraju: "Buddhism in Indian Philosophy", in: India International Centre Quarterly, OP.Cit, P.66.

المرتبطة ببوذا (المستنير)، فقد كان بوذا مؤسسًا لطريقة الحياة، وتتضمن هذه الطريقة في – البوذية– السعى إلى تحقيق الأخلاق(٦٠).

وَوَفْق البوذية فإن الكارما هي القوة التي تتحكم في الكون وتنظمه، تلك التي تعني العمل، وترتبط بالثواب والعقاب؛ ومن ثمّ فإذا كانت الأفعال خيرة فإنها تنتج السعادة، ولكنها إذا كانت الأفعال شريرة فإنها تنتج البؤس والتعاسة، فالهدف الأساسيّ لجميع الكائنات هو أن تُحَرَّر من آلام الولادة المتكررة(٦١)، فقد استندت كل من الهندوسية والبوذية على قانون الكارما، الذي تمثل فيه الولادات المتتالية عامة حركة تصاعدية نحو التحرر الروحيّ، وأفضل الأمثلة لذلك هي البوذية، فقد خرج بوذا من رحم أمه بعد أن خضع لعدد كبير من الولادات السابقة(٦٢).

ووفق الأديان الهندية، فإن الحياة الأخروية هي نتيجة طبيعية للأعمال في الحياة الحاضرة والسابقة، حيث تتحدث جميع الديانات الهندية مثل الهندوسية Hinduism والجينية Jainism، والبوذية Buddhism عن الولادة المتكررة، فَوَفْق الجينية والبوذية، لكل كائن ماضٍ لا ينتهي وحياة مستقبلية لا تنتهي، ونجد الموكشا Moksha في الهندوسية، والعزلة Kaivalya في الجينية، والنيرفانا Nirvana في البوذية، وهي جميعها أهداف نهائية يجب تحقيقها عن طريق الممارسة والتأمل؛ ولذلك فالماضي خارج سيطرتنا، في حين أن المستقبل يكون فقط في التفكير؛ ولذلك يكون الحاضر فقط من أجل بناء المستقبل، وهكذا فإن البوذية بوصفها مبدأ للعمل تعتمد فقط على الحاضر، وقد أوضح بوذا أن أتباعه الحقيقيين لا يندمون على الماضي، ولا يعتمدون على المستقبل، بل يعيشون ويتصرفون في الحاضر(٦٣).

وهكذا بعد أوضحنا التناسخ عند البوذية، والتي كانت وفق أعمال صاحبها؛ ثم ذكرنا طرق الخلاص، فإننا نلحظ أن فكرة التناسخ قد ظهرت في ديانات الهند الكبرى بوضوح كما أنها ارتبطت بالكارما ويكون الخلاص فيها عن طريق الاتحاد بالإله، ومن ثمَّ فإننا ننتقل– الآن– إلى توضيح أبرز ممثليها: بوذا.

---

(60) Jennifer green & Michael Green: Dealing with Death "Practices and Procedures", OP.Cit, P.188.

(61) John Garrett: Classical Dictionary of India "Illustrative of the Mythology Philosophy Literature Antiquities Arts Manners Customs of The Hindus", PP.319, 320.

(62) Ariel Glucklich: "Karma and Rebirth in India: A Pessimistic Interpretation", in: Death and After Life, edited by: Stephen T. Davis, Palgrave Macmillan, New York, 1989, P.82.

(63) Tripitaka Vagisvaracarya, Pandita, Mahathera D. Piyananda "Buddhism and other World Religions", in: The World Religions Speak on "The Relevance on Religion in the Modern World, P.93.

فقد أنكر بوذا الروح الفردية، وبذلك يختلف مذهبه عن مذاهب الفلاسفة الآخرين في الهند، فقد نظرت المذاهب الفلسفية إلى آرائه على أنها هرطقة، وكان مسوغهم في ذلك هو أننا إذا أنكرنا الروح، فإن السعي الأخلاقيّ حينئذ سيكون بلا قيمة، كما أنه إذا لم تكن هناك روح باقية وخالدة، فلن يكون هناك من يستحق الثواب أو العقاب؛ لأنه إذ لم يجن الإنسان ثمار أعماله الصالحة أو الطالحة، فما الذي يجعله يهتم بطريقة حياته؟[٦٤].

ولقد أشار بوذا إلى أن الحياة ضرب من الألم، وأن الألم يرجع إلى الشهوة، وأن الحكمة أساسها قمع الشهوات، وذلك ما أوضحه عن طريق الحقائق السامية الأربع وهي تتمثل فيما يأتي: الحقيقة الأولى هي أن الحياة ألم، والتي أشار فيها إلى أن الولادة مؤلمة، والمرض مؤلم، والشيخوخة مؤلمة، والحزن والبكاء والخيبة واليأس كلها أشياء مؤلمة، والحقيقة الثانية أن الشهوة هي سبب الألم؛ إذ إنها تؤدي إلى الولادة من جديد، وتوجد أنواع للشهوة منها، شهوة العاطفة، وشهوة الحياة، والحقيقة الثالثة وهي وقف الألم (أي اقتلاع الشهوة من جذورها)، وذلك عن طريق الانقطاع والعزلة والابتعاد عن كل الرغبات، والحقيقة الرابعة وهي السبل المؤدية إلى وقف الألم: وتتمثل في الطريق ذي الثماني شعب[٦٥].

أما الطريق ذو الثماني شعب، فهو على النحو الآتي: سلامة الرأي التي تعتمد على رؤية الأشياء على نحو ما هي عليه، ويشتمل هذا على الفهم العقليّ للأشياء، وتشتمل الحكمة (سلامة النية)، على كل من الفهم الصحيح للأشياء على نحو ما هي عليه، وتأكيد السلوك طبقًا لهذا الفهم، أما فيما يتعلق بسلامة القول فتعني تجنب كل قول يفضي إلى التعاسة، واستخدام العبارات التي تجلب السعادة، وسلامة السلوك تعني تجنب القتل أو الإيذاء لأي كائن حي، والابتعاد عن السرقة والغش، أما سلامة العيش فهي تعني تطبيق مبدأ السلوك القويم في المهنة التي يختارها المرء، في حياته، ولما كان من المستحيل بلوغ الحكمة من دون انضباط، فإن المرء عليه أن يمارس الجهد الحق، والانتباه العقليّ الحق، وتشتمل ممارسة الجهد الحق على عدة من الأمور منها: ١- الحيلولة دون نشوء الشر وحالات القصور الذهنيّ، ٢- التخلص من الشر، ٣- ممارسة الخير، ٤- والارتقاء بالخير نحو الكمال، وفيما يتعلق بالانتباه العقليّ المتمثل في وعي المرء بنشاطاته وانتباهه لها، وتنطوي هذه النشاطات على: ١- الجسم، ٢- الحس والشعور، ٣- الإدراك، ٤- التفكير والوعي[٦٦].

---

[٦٤] جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص٢٢٩.

[٦٥] ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة، الهند وجيرانها، الجزء الثالث من المجلد الأول، "٣"، ص ص٧٥-٧٦.

[٦٦] جون كولر: الفكر الشرقيّ القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد١٩٩، ١٩٩٥م، ص ص١٨٩-١٩١.

وفيما يتعلق بسلامة التركيز، فلابد من التمييز بين أربع مراحل من التركيز، المرحلة الأولى يركز فيها الشخص على التخلص من الشهوة، وسوء النية، والهم، والكسل، والقلق، والشك، وهذه الأمور يحل محلها مشاعر البهجة والسعادة، وفي المرحلة الثانية يركز المرء على تجاوز الأنشطة الذهنية المختلفة، والوصول إلى ما وراءها على الرغم من احتفاظه بالشعور بالبهجة والسعادة، وفي المرحلة الثالثة يسعى المرء إلى ما وراء النشاط الذهنيّ المسؤول عن البهجة، ويحقق توزانًا تملؤه السعادة، وفي المرحلة الرابعة يتحقق توزان كامل ووعيّ كليّ يتجاوز السعادة والتعاسة في آن معًا(٦٧).

وهذا ما عبر عنه بوذا بقوله: "*... خير السبيل هو المثمن، أسمى الحقائق: الأربع، خير الفضائل، الانعتاق، خير الناس، هو من يرى، ها هو ذا السبيل، لا سبيل سواه يؤدي إلى نقاء البصيرة، ...*"(٦٨)، ويشير بوذا هنا إلى الطريق ذي الثماني الشعب، الوحيد الذي عن طريقه تستطيع الذات البشرية تحقيق الخلاص والتطهر، وتتمكن- أيضًا- من خلاله إلى الاتحاد بالإله، ولا يوجد طريق آخر غيره.

لقد أشار بوذا إلى أن سبب الشر يكمن في الأهواء البشرية؛ ومن ثم فعلى الإنسان أن يتخلى عن ذاته ويفنى عن شخصه؛ من أجل الوصول إلى الطمأنينة الروحية(٦٩)، ولكنه رفض القول بالانتحار، فلا خير فيه؛ لأن روح المنتحر ستعود فتولد من جديد في أدوار أخرى من التناسخ(٧٠)، وهكذا يتضح لنا تحريم البوذية للانتحار؛ إذ إنه يتنافى مع مبادئها الدينية والأخلاقية؛ إذ إنها ترى أن الانتحار ليس وسيلة للهروب من الموت أو الخلاص من أدران المادة، بل يكون مصير الشخص المنتحر أن يولد من جديد في سلسلة لا متناهية من دورة التناسخ.

ومما سبق يتضح لنا أن هناك تشابهًا كبيرًا في تعاليم كُلٍّ من: البوذية والجينية، التي تتمثل في ممارسة الزهد والتقشف، وعدم إلحاق الأذى بأي كائن حي أو قتله، والامتناع عن الرغبات والملذات، وتقديس الحيوان وعدم التضحية به، إلا أن هناك اختلافًا بينهما، وهو أن

---

(٦٧) المرجع السابق، ص١٩٠.

(٦٨) الداماباذا: كتاب بوذا المقدس، "سورة السبيل"، ترجمة: سعديّ يوسف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠١٠م، ص٩٩.

(٦٩) عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٤م، ص٢٧.

(٧٠) ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة، الهند وجيرانها، الجزء الثالث من المجلد الأول، (٣)، ص٧٦.

البوذية ترفض الانتحار، في حين أن الجينية تقر بالانتحار الذي يتنافى مع تعاليمها الدينية والأخلاقية.

يؤكد بوذا المصير الأخرويّ للذات البشرية (الثواب والعقاب)، فيقول: "***...إن الذين يموتون قاهرين الشهوات الثلاث: اللذة، والذات، والأنانية، لا خوف عليهم ولا هم يولدون في ألم أو عذاب، ... لأنهم نالوا الخلاص الأبديّ،... ويستقرون في سلام النيرفانا...***"[٧١]، ويشير في هذا النص إلى مصير الذات الخيرة؛ إذ تحظى بالنعيم والسعادة الأبدية، وأيضًا تكون حاصلة على المعرفة الكاملة بالأشياء عند اتحادها بالإله على عكس المعرفة الجزئية التي كانت حاصلة عليها قبل الاتحاد بالإله.

وتوضح تعاليم بوذا كيف يعيش الفرد حياة متوازنة وسعيدة عن طريق الورع والاستقامة التي تتضح عن طريق المبادئ الخمسة وهي: الامتناع عن القتل، والسرقة، والزنا، والكذب، وتناول المشروبات المسكرة التي تسبب الغفلة، ونجد أن السعادة الأبدية هي الهدف النهائيّ لكل ديانة، سواء أكانت النيرفانا في البوذية، أم كانت الموكشا في الهندوسية، فهو تعبير عن السعادة الأبدية[٧٢]، كما اتخذ بوذا قانون الكارما بوصفه وسيلة للتحرر، وانتقد التضحيات وطريقة تقديمها بوصفها طقوسًا، بل كان يعطي أهمية أكبر للممارسات العملية، فقد كان أساس البوذية اللاعنف، كما أنها بمعناها الحقيقيّ لها تأثير بعيد في المجتمع الهنديّ[٧٣].

وهكذا يتضح لنا أن إنكار بوذا للروح يتعارض مع قوله بالخلود والتناسخ، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما الذي يتناسخ حينئذ؟، فمن المعروف أن الذي يتناسخ هو الروح، ولكن بناءً على ما ذكره بشأن الروح، فإنه ينفي وجود ما يسمى بالتناسخ، كما ينفي وجود الثواب والعقاب.

وتشترك أديان الهند الكبرى، وهي: الهندوسية، والجينية، والبوذية، في الناحية الكوزمولوجية، أي: أصل الكون الذي يصنع الوجود البشريّ في دورة الميلاد والموت، وإن هذه الدورة تخضع لمبدأ السبب والنتيجة، ألا وهو الكارما، وهو نوع من القانون الأخلاقيّ، والذي بموجبه تؤدي الأفعال الشريرة إلى نتائج سيئة لمن يرتكبونها، والأفعال الصالحة بالمثل تؤدي إلى نتائج جيدة؛ لأن موت الجسد الماديّ لا يدل على أن الشخص قد عانى بالفعل من جميع عواقب

---

(٧١) إنجيل بوذا، ترجمة: عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥٣م، ص٢٤٨.

(72) Tripitaka Vagisvaracarya, Pandita, Mahathera D. Piyananda "Buddhism and other World Religions", in: The World Religions Speak on "The Relevance on Religion in the Modern World, OP.Cit, P.94.

(73) Shirumoni Baruah: "understanding the Philosophy of Buddhism and its Challenge to Brahmanism", in: The Clarion International Multidisciplinary Journal, Vol. 8, No. 2, 2019, P. 55.

أفعاله، ولذلك يتم دخول المرء إلى دورة الحياة عن طريق فعل الكارما المختص بالفرد، ويولد من جديد في شكل، وزمان ومكان مناسبين بوصفه نتيجة أفعاله الماضية؛ ومن ثم فإن موضوعات مثل: زيادة عدد الجنس البشري ليس لها تأثير في هذه الرؤية للعالم؛ لأن البشر ليسوا – وحدهم– من لديهم أرواح، بل إن الروح المختصة بالكائن الحيّ يمكن أن تنتقل إلى مجموعة متنوعة من الصور، بمعنى أن هذه الروح تنتقل إلى شكل مناسب؛ لتحقيق النتائج الضرورية المختصة بأفعال الفرد الماضية، وفي الجينية والبوذية يتم تحديد ذلك عن طريق أعمال الكارما، وهذا أيضًا ما نجده في الكثير من أشكال الهندوسية، ولكن نظرًا لاحتوائها على جانب إيمانيّ فإنها تتضمن أحيانًا فكرة الكارما على أنها أقرب إلى العدالة الإلهية، ومع ذلك فإن الجينية مثل البوذية هي مذهب غير إيمانيّ ينظر إلى الدورة الكونية على أنها أبدية ليس لها بداءة ولا نهاية(٧٤).

وبالنظر إلى علم الكونيات (أصل الكون)، فقد يتوقع المرء أن يكون الهدف المتعلق بالخلاص في ممارسات الهندوسية أو الجينية أو البوذية هو الولادة الجديدة الجيدة، وأن يكون الهدف الرئيس للنشاط الدينيّ هو توليد الكارما الجيدة أو الخيرة Good Karma وتجنب الكارما السيئة Bad Karma، ولكن يمكن القول: إن إعادة الميلاد هي مجرد هدف يأتي قبل الهدف النهائيّ لكل هذه المذاهب؛ إذ إن الهدف النهائيّ هو التحرر من دورة الميلاد تمامًا(٧٥).

ويتضح مما سبق بعد أن عرضنا أديان الهند الكبرى، والتي تتمثل في كلٍ من الهندوسية، والجينية، والبوذية، نجدها تتفق جميعها في إرجاع سبب الشقاء والمعاناة والألم والجهل إلى الشهوة، كما أن غاية الخلاص عندهم واحدة، التي تتمثل في تطهير الروح من أجل الوصول إلى الإله، وإن اختلفت الطرق المؤدية إلى ذلك.

– نتائج البحث:

١– وجود تشابه إلى حد ما بين التناسخ، والتقمص، فُكلٌّ منهما يشير إلى انتقال الروح إلى جسد آخر، على الرغم من وجود اختلاف بينهما، ويتمثل هذا الاختلاف في أن التناسخ يكون فيه انتقال الروح إلى جسد آخر سواء أكان إنسانيًا أم كان حيوانيًا أم كان نباتيًا أم كان جمادًا؛ ومن ثمَّ يشتمل التناسخ على أربعة أنماط: النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ، في حين أن التقمص يكون فيه انتقال الروح من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر؛ وبذلك يكون مقتصرًا فقط

(74) Jeffery Long: "Jainism: Key Themes", in: Religion Compass, P. 501.
(75) Ibid, P. 501.

على الإنسان، كما يختلف التجسد عن التناسخ؛ إذ يستخدم التجسد في سياق دينيّ، فالمعنى العام له هو ظهور الإله في الإنسان أو أي صورة أخرى من صور الحياة، وهكذا فالتجسد يقتصر على الآلهة فقط، في حين أن التناسخ له أنماط مختلفة.

٢- ارتباط التناسخ بقانون الكارما عند الهنود؛ إذ إن مصير الإنسان في الحياة الآخرة يتوقف على طبيعة أفعاله في الحياة السابقة؛ ذلك لأن كل فعل يقوم به الإنسان، يترتب عليه نتائج معينة؛ ومن ثمَّ يجني ثمار أعماله سواء أكانت صالحة أم كانت فاسدة، فالسلوك الشرير يؤدي به إلى سقوطه في دورة التناسخ؛ في حين أن السلوك الخير يمنعه من الوقوع في هذه الدورة، ومن ثم يرتفع الإنسان ويسقط في ميزان الوجود الحيوانيّ أو الإنسانيّ بمقتضى أعماله "الكارما"، كما نجد ارتباط التناسخ بفكرة الحتمية، ذلك لأن انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر؛ لتسكن فيه لا يكون وفق إرادتها كما سبق أن أوضحنا، بل يكون وُفْق قانون الكارما، أي: وفق أعماله؛ ومن ثمَّ يصبح هدف الإنسان تحقيق السعادة والتخلص من كل الشرور والآلام، وذلك عن طريق الخلاص والتطهر الذي يتمثل في أمور كثيرة، ومن أهمها: ممارسة الزهد والتقشف، وأداء الطقوس الدينية وتقديم القرابين.

٣- نجد أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين التناسخ ومذهب وحدة الوجود في الحضارة الهندية؛ فالروح تستطيع الاتحاد بالإله، عن طريق أمور كثيرة، ومن أهمها: الامتناع عن الشهوات، فهي بذلك تتمكن من عدم الوقوع نهائيًا في دورة التناسخ، وحينئذ تصير الروح البشرية والإله شيئًا واحدًا، بمعنى: أن تتحول معرفة الروح البشرية من معرفة جزئية بالأشياء إلى معرفة كلية شاملة؛ ومن ثمَّ تصل الروح المتحدة بالإله "البراهمان" إلى الخلود، كما أن قول الهنود بتناسخ الأرواح؛ يقضي حتمًا على استمرارية الزمن، فحينما تنتقل الروح من جسد إلى جسد آخر لتسكن فيه بوصفه عقابًا لها عما اقترفته من الآثام، فإنها لا تعرف المدة التي عاشتها في كل جسد من هذه الأجساد خلال دورة التناسخ.

٤- تتفق أديان الهند الكبرى التي تتمثل في كُلٍّ من: الهندوسية، والجينية، والبوذية، في ارتباط التناسخ لديهم بقانون الكارما، وكذلك في إرجاع سبب الشقاء والمعاناة والألم والجهل إلى عدة أمور من أهمها الشهوة، كما أن غاية الخلاص عندهم واحدة، التي تتمثل في تطهير الروح من أجل الوصول إلى الإله، والاتحاد به، وإن اختلفت الطرق المؤدية إلى ذلك.

٥- نجد أن هناك تشابهًا كبيرًا في تعاليم كُلٍّ من الجينية والبوذية، والتي تتمثل في ممارسة الزهد والتقشف، وعدم إلحاق الأذى بأي كائن حي أو قتله، والامتناع عن الرغبات والملذات، وتقديس الحيوان وعدم التضحية به، إلا أن هناك اختلافًا بينهما، وهو أن البوذية

ترفض الانتحار، في حين أن الجينية تقر بالانتحار الذي يتنافى مع تعاليمها الدينية والأخلاقية؛ إذ إنه يتعارض مع قولها بالخلود، والمصير الأخرويّ للروح، كما نجد التناقض الذي وقعت فيها البوذية، ذلك بسبب إنكار بوذا للروح، الذي يتعارض مع قوله بالخلود والتناسخ؛ ومن ثمَّ فأن السعي الأخلاقيّ حينئذ سيكون بلا قيمة، كما أنه إذا لم تكن هناك روح باقية وخالدة، فلن يكون هناك من يستحق الثواب أو العقاب.

قائمة المصادر والمراجع:

1- Arya, Samarendra Narayan: "soul in Jain Philosophy and Development of Indian Society in the Sixth Century BC", in: Proceedings of the Indian History Congress, Vol.76, Published by: Indian History Congress, 2015.

2- Audi, Robert: The Cambridge Dictionary of Philosophy, Second Edition, Cambridge University Press, New York, 1999.

3- Baruah, Shirumoni: "understanding the Philosophy of Buddhism and its Challenge to Brahmanism", in: The Clarion International Multidisciplinary Journal, Vol. 8, No. 2, 2019.

4- Besant, Annie: Reincarnation, Theosophical Publishing Society, The Path, London & New York, 1892.

5- Bodewitz, Henk: "The Hindu Doctrine of Transmigration: its Origin and Background", in: Vedic Cosmology and Ethics "Selected Studies", Published By: Brill, Jstor, 2019.

6- Chandel, Payal Kanwar: "Religious Interpretations of Reincarnation", in: Indian Journal of Health and Wellbeing, Research and Welfare, 2015.

7- Davis, Stephen T. (editor): Death and After Life, Palgrave Macmillan, New York, 1989.

8- Dunne, Finley P. (editor): The World Religions Speak on "The Relevance of Religion in the Modern World", JR., Springer, Published by: World Academy of Art and Science, 1970.

9- Garrett, John: Classical Dictionary of India Illustrative of the Mythology Philosophy Literature antiquities arts Manners Customs of the Hindus, Madras Higginbotham & Co., 1871.

10- Green, Jennifer & Green, Michael: Dealing with Death "Practices and Procedures", Springer, Published by Chapman &Hall, Graphicraft, Hong Kong, 1992.

11- Grimes, John: A Concise Dictionary of Indian Philosophy "Sanskrit Terms Defined in English" State University of New York Press, Albany, 1996.

12- Humphreys, Christmas: A Popular Dictionary of Buddhism, Curzon, Taylor & Francis, London, 2005.

13- Koslowski, Peter (editor): Progress, A Pocalypse, and Completion of History and Life after Death of the Human Person in the World Religions, Kluwer Academic Publishers, Springer, 2002.

14- Krejci, Joroslav: The Civilizations of Asia and the Middle East "Before the European Challenge", Assisted by: Anna Krejcova, The Macmillan Press LTD, London, 1990.

15- Long, Jeffery: "Jainism: Key Themes", in: Religion Compass, Published by: Blackwell Publishing Ltd, 2011.

16- McClelland, Norman C.: Encyclopedia of Reincarnation and Karma, McFarland & Company, Inc., Publishers., Jefferson, North Carolina, and London, 2010.

17- Raghuramaraju, A.: "Buddhism in Indian Philosophy", in: India International Centre Quarterly, Vol. 40, No. 3/4, Published By: India International Centre, Jstor, Winter 2013- Spring 2014.

18- Reichenbach, Bruce R.: The Law of Karma "A Philosophical Study", Macmillan Academic and Professional Ltd, 1990.

19- Sharma, Arvind: A Hindu Perspective on the Philosophy of Religion, Palgrave Macmillan, New York, 1990.

20- Sharma, Arvind: Primal Perspective on the Philosophy of Religion, Springer, Dordrecht, The Nether Lands, 2006.

٢١- ابن منظور "الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم": لسان العرب، مادة نسخ، ج٣، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٢٢- أحمد شلبيّ: أديان الهند الكبرى، الهندوسية، الجينية، البوذية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٣- أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، ج١، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٢٤- الأزهريّ "أبو منصور محمد بن أحمد": تهذيب اللغة، مادة: نسخ، ج٧، تحقيق: عبد السلام سرحان، مراجعة: محمد عليّ النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت).

٢٥- الأوبانيشاد، ترجمة: عبد السلام زيان، (كاتا والموت، الجزء الأول)، دار شمس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢٦- الباجافادجيتا، الكتاب الهنديّ المقدس، تحقيق: شاكوانتالا راوا شاستري، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سورية، ١٩٩٣م.

٢٧- البيرونيّ "أبو الريحان محمد بن أحمد": في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٨م.

٢٨- الداماباداً: كتاب بوذا المقدس، ترجمة: سعديّ يوسف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠١٠م.

٢٩- الفيروزآباديّ "العلامة اللغويّ مجد الدين محمد بن يعقوب": القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٣٠- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣١- إنجيل بوذا، ترجمة: عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥٣م.

٣٢- بارندر، جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، عدد١٧٣، ١٩٩٣م.

٣٣- ديورانت، ول وايريل: قصة الحضارة، الهند وجيرانها، الجزء الثالث من المجلد الأول، (٣)، ترجمة: زكيّ نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

٣٤- رءوف شلبي: آلهة في الأسواق، (دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق)، دار القلم، الطبعة الثانية، الكويت، ١٩٨٣م.

٣٥- شاليّ، فيلسيان: موجز تاريخ الأديان، ترجمه عن الفرنسية: حافظ الجماليّ، مكتبة المهتدين الإسلامية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٣٦- عبد العزيز محمد الزكي: قصة بوذا، مؤسسة المطبوعات الحديثة، الدار المصرية للطباعة، (د.ت).

٣٧- عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٨- غوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداويّ للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.

٣٩- كولر، جون: الفكر الشرقيّ القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد١٩٩، ١٩٩٥م.

٤٠- محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان- دراسة وصفية مقارنة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٤١- محمد عثمان الخشت: تطور الأديان قصة البحث عن الإله، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٢- محمد عليّ أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفيّ في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

٤٣- مراد وهبه: المعجم الفلسفيّ، دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٤٤- مصطفى النشار: مدخل جديد إلى فلسفة الدين، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٥م.

٤٥- منوسمرتي: كتاب الهندوس المقدس، ترجمة وتعلق: إحسان حقيّ، دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، (د.ت).

٤٦- ميغوليفسكي، أ. س: أسرار الآلهة والديانات، ترجمة: حسان مخائيل إسحق، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الرابعة، دمشق، ٢٠٠٩م.